

الداعي المطلق إبراهيم بن الحسين الحامدي وكتابه (كنز الولد)

الموسم

عندما قررت السيدة الحرة أروى الصليحية بثاقب بصيرتها أن تفصل الدعوة عن الدولة فضلاً تاماً عقدت مؤتمراً لكبار السلاطين والدعاة لانتخاب من يتولى رئاسة الدعوة، فوقع الاختيار على الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني (٥٢٠ - ٥٣٦) ليتولى هذه المهمة. وفي هذا الاختيار يقول الداعي إدريس عماد الدين^(١) «اجتمع عدة من سلاطين اليمن إلى قاضي القضاة وداعي الدعاة باليمن يحيى بن ملك. وكل من أولئك السلاطين يرى أنها ستقع إليه بإقامة الدعوة الشريفة الإشارة، ومتطلع إلى أن يلي إيراد الأمر فيها وإصداره. والذؤيب بن موسى متواضع مع علو مرتبته لأبويه، إلى ما يشار إليه من عالي منزلته، فحين اجتمعوا عند القاضي الأجل يحيى ابن ملك ابن مالك أعلن بالتعريف بفضل الداعي ذؤيب بن موسى وعالي مقامه، وأنه المعاضد له، والخالف له بعد انقضاء أيامه، وتلا على السلاطين والمؤمنين التقليديين من الحرة الملكة السيدة ولية أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه الميامين، ومن داعي الدعاة وقاضي القضاة يحيى بن الملك ذي الحجة الماضية البراهين، فسمع أهل الفضل والديانة قول الحرة الملكة حجة الإمام الأمر، وقول داعيه يحيى بن الملك، ولم يكن منهم جاحد ولا مكابر».

وبعد أقول نجم الدولة الصليحية بوفاة السيدة الحرة أصبحت الدعوة منظمة دينية بحتة يرأسها الداعي ذؤيب بن موسى، ومن الطبيعي حسب ترتيبات الدعوة الإسماعيلية أن يختار من بين الدعاة داعياً مأذوناً له يساعده في أعماله فاختر مترجمنا الداعي السلطان إبراهيم بن الحسين بن أبي السعود الحامدي الهمداني، وهو من كبار الدعاة العلماء الذين أوجدتهم مدارس الدعوة الاسماعيلية المستعلية الطيبية في اليمن.

ولما توفي الذؤيب خلفه مأذونه السلطان إبراهيم داعياً مطلقاً للإمام المستور الطيب بن الأمر في اليمن وما جاورها من البلاد والهند والسند وذلك سنة ٥٣٦هـ. وجعل الشيخ علي بن الحسين بن جعفر الأنف القرشي العبشمي مأذوناً له، فكان له معاضداً على أمره، قائماً بنشر الدعوة في سره وجهره، ولم يعمر علي بن الحسين طويلاً فقد وافته المنية في سنة ٥٥٤هـ فاستعان

(١) - عيون الأخبار ج ٥ ص ١٤٠ والصليحيون ١٨٢.

الحامدي بابنه حاتم حيث اتخذته مأذوناً له، ونقل مقره إلى صنعاء، ثم أعلن عدم تدخله في سياسة الدولة، وواظب على دراسة العلوم ونقل التراث العلمي الاسماعيلي وجمعه وتدريسه للدعاة التابعين لمدرسته، ووزع الدعاة في بلاد اليمن والهند والسند، وفيه يقول الشاعر الحارثي:

أبا حسن أنقذت بالعلم أنفـسا وأمنتها من طارق الحدثان
فجوزيت بالحسنى وكوفيت بالمنى ودمت سعيداً في أعز مكان
عمرت بصنعا دعوة طيـبية جعلت لها أسا وشدت مباني^(١)

ويذكر التاريخ الإسماعيلي اليمني له عدة مؤلفات علمية تبحث في فلسفة الدعوة الإسماعيلية وفي التأويل والحقائق، ومن مؤلفاته: كتاب الابتداء والانتهاء وكتاب تسع وتسعين مسألة في الحقائق، وكتاب الرسائل الشريفة في المعاني اللطيفة، وكتاب كنز الولد ذو الأهمية البالغة^(٢). ولقد وجد له مؤخراً في كتاب إسماعيلي يماني يسمى (كتاب مجموع التربية)^(٣) على بحوث ومحاضرات ومقالات ورسائل جلها في الأبحاث العرفانية الإسماعيلية.

وفي عهد هذا الداعي الأجل تعرضت الدعوة المستعلية الطيـبية إلى هزات عنيفة قاسية، لأن ملوك آل زريع في عدن مالوا إلى الدعوة المستعلية المجيدية التي أخذت تنتشر بقوة في أنحاء اليمن حتى أصبح لها دعاة نشيطون في قلب تنظيمات الدعوة الطيـبية وفي معاقلها، كحراز، ونجران، واليمن الأسفل.

وكذلك أعلن ملوك همدان الياميون في صنعاء وبلاد همدان عن تنصلهم من جميع الدعوات والمذاهب. ومع كل هذا فقد ظل الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي على إخلاصه للدعوة الطيـبية مواصلاً نشاطه الدعاوي والعلمي حتى توفاه الله في صنعاء في شهر شعبان سنة ٥٥٧ هجرية.

كنز الولد

لاشك أن مؤلف كتاب «كنز الولد» قد تبخر في معرفة عقائد الإسماعيلية وأصولها وأحكامها، فقد أهله منزلته الدينية كئائب الغيبة أو ممثل الإمام الغائب لذلك، وفتحت له محتويات خزائن مركز الدعوة التي احتفظ بها دعاة اليمن مطوقين إياها بالكتمان التام. وكان هذا الكتمان مصير مؤلف الحامدي أيضاً لدى الإسماعيلية الطيـبية لما احتوى عليه من وصف دقيق لفلسفة الدعوة وصورها العرفانية، وعلم الحقائق الباطني، والإلهيات والمراتب الروحية والدينية.

ودعي الكتاب «كنز الولد» لما ذكر في مواضع عدة عن «ظهور الولد التام» الذي هو القائم المنتظر. ويثبت رأينا هذا ما ورد في النص: «وهو ص.ع. الذي يقوم في آخر الأزمان مقام النفس ويحمل أثقاليها ويتصور بصورتها، وتدور عليه الرتب السبعة العلمية الروحانية الدينية لأنه يستوفي جميع القول ممن تقدمه من الرسل والأنبياء والأوصياء والأئمة ص. أجمعين...» وكنز

(١) - الصليحيون: ٢٧١ - ٢٧٢

(٢) - المرشد إلى أدب الإسماعيلية: أيفانوف ص ٥٤ اعلام الاسماعيلية ص ٨٧

(٣) - هذا الكتاب في مجلدين تأليف الداعي محمد بن طاهر.

الولد هو كنز القائم المنتظر الذي سيظهر عند تمام الأدوار السبعة المعروفة لدى الاسماعيلية. قسم الحامدي كنزه إلى أربعة عشر باباً، وقد استهل المقدمة، على عادة كتاب العصر وعلمائه، بالاستعانة والتوكل والشهادة والصلاة، ثم يذكر موضوع الكتاب والأسباب الداعية إلى تأليفه. ويبحث الباب الأول «في التوحيد من غير تشبيه ولا تعطيل» ليظهر أهمية التوحيد وقوامه. ويعالج الباب الثاني «الإبداع الذي هو المبدع الأول» مبيناً جلال المبدع الأول وعلمه وانفراجه بجميع الصفات ذاكرة أيضاً مختلف آراء أهل الملل والنحل من أهل التأويل المحض والفلاسفة وكبار الحدود والدعاة. أما الباب الثالث فيدور حول «المنبعثين عن المبدع الأول معاً وتباينهما». فالمنبعث الأول قد التزم بحده السابق عليه فنزهه ووحدته فاستحق اسم الفعل وبذلك كمل به الكمال الثاني فكان كاملاً في ذاته. أما المنبعث الثاني فكامل في ذاته ناقص في فعله إذ لم يتم له الكمال الثاني بجميع حقوقه وحدوده... ولزيادة إيضاح المراد يذكر الحامدي قوام العقل الأول والعقول السبعة الانبعائية.

ووجود الأئمة السبعة في عالم الدين كل واحد عن الآخر إلى الوصي ع.م. وجاء في الباب الرابع «القول على المنبعث الأول القائم بالفعل... وما ذلك الفعل؟» وهنا يستعين المؤلف بآراء من تقدمه من فلاسفة الدعوة وعلمائها ليؤكد التزام المنبعث الأول بالسابق عليه في الوجود لأنه حجاب، ولكونه أولاً في العقول المنبعثة بكونه محضاً وجد عن محض، وعلى ذلك تكون منزلته من مراتب الأعداد منزلة الاثنين، بكونه ثانياً في الوجود، وكون وجوده عند الترتيب بعد الواحد المتقدم الرتبة في الوجود الذي هو العقل الأول، أو الموجود الأول. وينقلنا الباب الخامس إلى «القول على المنبعث الثاني القائم بالقوة وماسبب ذلك؟» يرى المؤلف في هذا الباب أن المنبعث الثاني لم يلتزم بالمنبعث الأول الذي سبقه، ولم يعرفه، ولم يتوسل به ويتوجه إليه، لذلك كان كاملاً في ذاته بالكمال الأول الذي ساوى فيه الأول والثاني، وناقصاً في فعله، فبذلك قام بالقوة التي هي أصل وجوده، ويخلص إلى أن المنبعث الثاني هبط إلى رتبة العاشر لكونه لم يقر بالسبق عليه للمنبعث الأول، ثم بعد أن شعر بخطئه تاب وأتاب وتوسل بالعقول التي هي فوقه، فقبلوا توبته فصعد إلى مرتبته، ثم ينتقل الحامدي إلى «القول على الهيولي والصورة وماهما في ذاتهما وسبب تكتفهما وامتزاجهما؟» وأما في الباب السادس فيعتمد على نظرية المثل والممثل الاسماعيلية منتجاً عنها أن الصورة لطيفة فاعلة، والهيولي كثيفة مفعول بها.

ويتدرج بنا الباب السابع إلى «ظهور المواليد الثلاثة: المعدن والنبات والحيوان» إبداعاً ثالثاً من غير جماع، ولا توسط نطفة، ولا اغتذاء برحم، وإنماء في بطن أنثى ولا أم، بل ابتداء ذلك بتفاعل قوى الكواكب الخمسة من زحل إلى الزهرة في خمسة آلاف سنة. وفي الباب الثامن يتحدث المؤلف عن «ظهور الشخص البشري» ثم ينتقل في الباب التاسع إلى «القول على ظهور الشخص الفاضل من تحت خط الاعتدال» مفصلاً وشارحاً التفاعلات في المغاير والخذد ومبيناً مراتب الدعوة الاسماعيلية وأفلاكها الدينية بصورة واضحة تدل على أنهم يتمتعون بمناقب

قدسیه عرفانیه استمدوها من الإحاطة بالعلوم الماورائیة.

ويقدم الحامدي في الباب العاشر الكلام عن «الارتقاء والصعود إلى دار المعاد» مبيناً كيفية معاد الحدود وخاصة صعود المستفيد إلى صورة مفيدة، وذاكراً أن أفلاك الدين يكون صعودها بحسب اكتسابها مراتبها التي تقابل مراتب الأفلاك.

أما قوام الباب الحادي عشر فيعتمد على «معرفة الحدود العلوية والسفلية» ووجوب الأخذ عنهم والافتداء بهم لكونهم هم الذين بإمكانهم نقل النفس المستجيبة للدعوة من حد القوة إلى حد الفعل، وفي الباب الثاني عشر يتعرض المؤلف إلى «الثواب والارتقاء في الدرج إلى الجنة الدانية والعالية» حيث السعادة الأبدية.

ويصف الحامدي في الباب الثالث عشر كيفية «اتصال المستفيد بالمفيد وارتقائه إليه واتصاله به» داعماً رأيه بنظرية بعض كبار الدعاة والفلاسفة الذين تقدموه، ثم يختم الكتاب في «القول على العذاب بحقيقته وكيفيته». مستشهداً بالأراء والمصطلحات الفلسفية الاسماعيلية المشفوعة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الأئمة من آل البيت.



❁ “મોહમ્મદ” ના નામનો એક સુંદર તુખરો. ❁
અહીં ઉપર “મોહમ્મદ” ના નામનો એક સુંદર તુખરો આપવામાં આવ્યો છે જેમાં આપણા હારના નબી મોહમ્મદ [સ.અ.] થી હાઈક્રમમાં હોવાના મોહમ્મદ પુરુષાત્તરીન સા. [વ.વ.શ.] સુધી “મોહમ્મદ” નામ ના અદ્યમત તારીની અને દુઆતે સુતજીની થવા છે તે મુખારક નામો સમાવી રેવામાં આવ્યા છે.